كلمة رئيس المجمع في استقبال الأستاذ الدكتور عيد مرعي
عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق يوم الأربعاء في
2022/8/3

السادة الحضور، أيها الحفل الكريم: أسعد الله أوقاتكم كافة، وأحييكم أجمل تحية، وأرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم تفضلكم بحضور هذه الجلسة العلنية لمجمع اللغة العربية بدمشق لنشارك جميعاً في استقبال الأستاذ الدكتور عيد مرعي عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق.

لقد انتخب مجلس المجمع في جلسته المنعقدة يوم الأربعاء 13 شعبان 1443هـ الموافق السادس عشر من آذار 2022 الأستاذ الدكتور عيد مرعي عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق، وأصدر السيّد رئيس الجمهورية المرسوم ذا الرقم 116، والتاريخ 2022/4/28 باعتماد انتخابه.

ويهنئ المجمع الأستاذ الدكتور عيد مرعي على ثقة زملائه به، واختيارهم له عضواً جديداً ينضم إلى المجمع ليسهم في أعماله في ضوء خبراته، وهو المتخصص بلغات الشرق القديم وتاريخه.

ورحم الله شاعرنا القائل:

من لم يعِ التاريخ في صدره لم يدرِ حلو العيش من مرّه
ومن وعى أخبار من قد أضاف أعمارا إلى عمره

أيها الحفل الكريم:

من المشروعات القومية التي أنجزتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «الألكسو» مشروع الكتاب المرجعي لتاريخ الأمة العربية، وقد بدئ بتنفيذه في النصف الثاني من ثمانينيات القرن الماضي بتمويل من الرئيس الليبي العقيد معمر القذافي رحمه الله، ولقد كلفني مدير المنظمة الإشراف على متابعة تنفيذه في النصف الأول من عقد تسعينيات ذلك القرن يوم أن كنت مديراً لقطاع التربية في المنظمة، وكان الأستاذ الدكتور المؤرخ المشهور عبد العزيز الدوري رحمه الله هو المكلف وضع مفردات

المشروع، واختيارَ الباحثين على الصعيد العربي على أن تكتب البحوث فيه بدءاً من العصر الجاهلي.

وفي اجتماع عقد للوقوف على ما جرى إنجازه من المشروع، وتذليل العقبات المعترضة بحضور ممثلي عدد من الدول العربية، اقترح ممثل المملكة العربية السعودية في الاجتماع ألا نقتصر في كتابة الكتاب المرجعي لتاريخ الأمة العربية على البدء من العصر الجاهلي، وما علينا إلا أن نرجع إلى ما قبل هذا العصر، ذلك لأن الأرض العربية في شرقنا ما هي إلا رقائقُ من الحضارات منذ أن استوطنها الإنسان على ممرّ التاريخ.

وكانت وجهة نظره صحيحة، إذ إن أبناء الأمة ينبغي لهم أن يعرفوا تاريخ أجدادهم الموغلَ في القدم، وأن يعتزوا بتلك الحضارات القديمة، وإنجازاتها على مختلف الصعد، ويجيء في مقدمتها اختراعُ الأبجدية، وتعليمُها للآخرين على الصعيد العالمي، وها هو ذا العالم اللغوي الفرنسي (انطوان مييه) A Meillet يقول: «إن الذين اخترعوا الأبجدية، وحسنوا كتابتها هم في الحقيقة من أكبر اللغويين، بل هم الذين ابتدعوا علوم اللسان»، إذ إنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى هذه الخطوة الجبارة إلا بعد أن قاموا بثورة جذرية على الخط المسماري بعد أن تبين لهم عيوبُ الصورة المسمارية، فتركوها إلى ما هو أفيدُ منها، فبعد أن اخترعوا طريقة التمثيل الصوتي ابتكروا رموزاً خطية جديدة، أقاموها مقام المسمارية، وجعلوا لكل حرف صوتي صورة واحدة سهلة وبسيطة بدلاً من الخطوط المسمارية المعقدة، وبهذا خرجت الكتابة الأبجدية إلى الوجود أول مرة في التاريخ، ثم عمّ استعمالها فيما بعد.

وما تزال عبارة الشاعر الإسباني «أنطونيو غالا» راسخة في ذهني عندما استقبلته يوم أن كنت وزيراً للثقافة، وحضر إلى مكتبة الأسد ليلقي بعضاً من أشعاره، وقال في بدء إلقائه: «أنا مدين لك يا أوغاريت بالفضل لأنك علمتني الأبجدية، ولولاك يا أوغاريت ما كنت شاعراً».

وإذا كان شاعرنا الإسباني يقف أمامنا في المكتبة موجهاً كلامه إلى أوغاريت، ومبيناً فضلها عليه، فماذا عساه أن يقول شاعرنا السوري عمر

أبو ريشة عندما وقف أمامها متسائلاً:

مـالي أراك كئيبـة النظـراتِ لـم تتكلمـي؟
هذا الـذهول ينم عن ذاك الجوى المتكـتم
وتكاد تسـأل مـن أنـا ؟ ويكـاد يخـذلني فمـي
أنـا يـا بنـة الأمجـاد مثلـك واقـف فـي مـأتم
أنـا مـن بقايـا أمـة هـي والعـلا مـن تـوأم
مرّت على الدنيا مـرور القطـر فـي الحقـل
فتناقلـت آيـات رحمتهـا شـفاه الأنجـم

والواقع كان مقترح ممثل المملكة العربية السعودية في الاجتماع الذي عقدته إدارة التربية في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في مكانه، إذ لا يمكننا أن ننسى تاريخ أمتنا قبل العصر الجاهلي، وهو تاريخ به نعتز ونفتخر، ويجب ألا يقف تراثنا عند حد زماني أو مكاني يحصره في الأدب الجاهلي، وعلوم العربية، والتاريخ الإسلامي، وإنما تمتد أبعاده لتستوعب التراث القديم على امتداد الزمان والمكان، وتراثنا الحضاري أغنى من أن يحدّ بمرحلة حضارية واحدة، فمن حضارة بابل وآشور، ومن الفراعنة والأوغاريتيين، وغيرهم من بناة الحضارات القديمة، ومن الديانات السماوية ينحدر إلينا تراث ضخم هو جماع التاريخ المادي والمعنوي للأمة منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، ولقد عبر الشاعر المجمعي سليمان العيسى رحمه الله عن عراقة تراثنا عندما قال:

وأبعد نحن من عبسٍ ومـن مضـرٍ نعـم
أبعد بعض عطائنا الأخلد
حمورابي وهاني بعل والبـرديّ والمعبـد
لنـا بلقـيسُ والأهـرامُ ومن صحرائنا أحمد
ومـن زيتوننـا عيسـى الجميعُ تعلموا أبجد
ومنـا النـاس يعرفهـا وكنـا دائمـا نجحـد
وكنـا دائمـا نعطـي

وإذا كان تراثنا العربي يتسم بالعراقة والقدم، فإنه عبّر عن ذاته في عدد

من الحضارات قبل أن ينصهر في حضارة عربية إسلامية ذات ثقافة واحدة شملت الأرض العربية كلها، وطبعت جوانب الحياة بالطابع العربي، وغدت هذه الثقافة عربية وإنسانية منفتحة على الآخر، ومحافظة على هويتها، ومستوعبة العلوم والفنون والآداب، وجميع ميادين الفكر، ووسعت الأصقاع التي وصلت إليها في وقت واحد، ومن خلال لغة واحدة هي اللغة العربية.

ولا ريب في أن الآثار الباقية من الممالك القديمة على أرضنا العربية في كل من تدمر، وعمريت وماري وإيبلا وأوغاريت تشير إلى العمق الحضاري لسورية، كما تشير إلى الإبداعات الحضارية، فعلى أرض سورية بدأت الزراعة منذ أكثر من عشرة آلاف سنة، وكانت زراعة القمح قد عرفها إنساننا على أرضنا لأول مرة في تاريخ البشرية، وفي سورية جرى اكتشاف النحلس في الألف الخامس قبل الميلاد، ولقد أشرنا إلى أن اختراع الأبجدية الأولى إنما يدل على مستوى فكري راق، قدمته أمتنا هدية للبشرية، ونقلت مع الأبجدية إلى الآخرين المعرفة والقيم الإنسانية، والتعامل الحضاري، كما أثبتت البحوث والدراسات أن رَقيم أوغاريت الموسيقي هو أول تدوين موسيقي في تاريخ البشرية، وأن الألعاب الأولمبية عرفت على أرض عمريت، وعليها أيضاً جرت الاتفاقية بين الاسكندر المقدوني وملك الفرس.

ومن أرض سورية انطلقت الرسالات الإنسانية، وعبرها انتشرت الرسالات السماوية المسيحية والإسلامية تروم الخير والمحبة والسلام للناس كافة، وتدعو إلى احترام كرامة الإنسان أنّى كان، وفي منأى عن أي تعصّب أو تزّمت أو طغيان.

ومن هنا تبدّت الثقافة عبر مسيرة مجتمعنا العربي عربية الطابع، وغدت الثقافات الأخرى روافد صبت في المجرى الكبير للثقافة العربية التي أسبغت عليها سماتها العربية، وطورتها، ولونتها بإبداعات بنيها، ثم قدّمتها إلى العالم لتوقد شعلة الحضارة البشرية عبر بوابات متعددة. وهذه حقيقة يعتز بها كل إنسان مثقف في هذا العالم يتسم بالموضوعية، حتى إن بعضهم أشار إلى أن لكل إنسان في هذا العالم موطنين أحدهما مسقط رأسه، وثانيهما سورية.

ورحم الله الصديق المرحوم المغترب في الأرجنتين الدكتور فيصل النفوري الذي كان يدعو بمرارة إلى أن تقوم بعملية التنقيب عن الآثار

السورية في تلك الممالك القديمة أطر سورية معدة وكفية لا أجنبية، ويؤكد إرسال المبعوثين السوريين إلى جميع أنحاء العالم التي تتيح تعرف اللغات العروبية القديمة، لأن ثمة تلازماً قوياً بين تلك الآثار والنقوش والرسوم واللغة الموجودة عليها، وشتان بين تعرف تلك الحضارات القديمة من أبناء الأمة، وتعرفها من الباحثين الأجانب.

ولمعظم المجامع الأوربية إن لم نقل كلها- ولع باللغات الشرقية والمباحث الرائعة في آدابها، ومؤلفاتها، وتواريخها، وأسرار ارتقائها، وانحطاطها حتى كثر عندهم المستشرقون الحريصون على اقتناء الكتب الشرقية، ولاسيما المخطوطة، وأنفقوا على اقتنائها الأموال الطائلة، وأنشئت الجمعيات الشرقية لهذا الغرض، وعقدت المؤتمرات.

أما المؤتمرات التي بحثت في آداب اللغات الشرقية واللغة العربية، فأولها مؤتمر باريس سنة 1873، ثم لندن، وبطرسبرغ، وبرلين، وهولندة، وباريس ثانية سنة 1897، وروما، وألمانيا، والجزائر، واليونان 1912.

وكان ثمة موضوعيون منهم كانوا أمناء في تبيان الحق، ورده إلى أصحابه على الرغم من محاولات الصهاينة في طمسه، وإغراء هؤلاء الباحثين الأجانب بمختلف المغريات لإخفاء ما جرى اكتشافه في ممالكنا القديمة، وما محاولاتهم مع عالم الآثار الإيطالي الكفي «باولوماتية» عنا ببعيدة .

وتجدر الإشارة إلى أن الحفاظ على آثارنا القديمة واللغات المكتوبة بها أمانة في أعناقنا، ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي عندما خاطب امرأ جاهلاً يحاول إتلاف بعض الآثار، فقال له متسائلاً، وداعياً عليه بشلّ يمينه:

أتتلفها؟ شلت يمينك خلها لمعتبرٍ أو زائرٍ أومسائلِ

منازل قومٍ حدّثتنا حديثهم ولم أرَ أحلى من حديث المنازل

تُرى وماذا كان عساه أن يقول رحمه الله أمام هجمات المجرمين الجهلة في أيامنا هذه الذين دمروا وطنهم، وبعض مؤسساته، ومشافيه، ومدارسه، ومعاهده، وقتلوا بعضاً من علمائه، وارتموا في أحضان أعدائه،

يستغيثون بهم لإحلال الدمار بعد أن امتلأت قلوبهم غلاً وضغينة ضدّ بعض رموز ثقافتنا التي بها نعتز كنبوخذ نصر، وأبي العلاء المعري، وبعض الصحابة والصوفيين ...الخ ؟

ورحم الله الصديق الأثير الروائي القدير الطيّب الصالح، فقد قال لي: (لو أن في الأدب البريطاني قمماً شامخة كأبي العلاء المعري والمتنبي وأبي تمام لأقام لهم البريطانيون تماثيل في كل حديقة وشارع، إذ إنني وأنا المتخصص في الأدب البريطاني لا أجد مثيلاً لهم في الإبداع والتحلي بالقيم الإنسانية والمناقب الرفيعة).

<u>أيها الحفل الكريم:</u>

إنّ اللغات القديمة في شرقنا العربي أطلق عليها اسم «اللغات السامية»، أو ما يعرف باللغات الأفروآسيوية، وكان المؤرخ الألماني «أوغست فون شلوتسر» أول من استعمل مصطلح «اللغات السامية»، وموطنها بلاد الرافدين، وبلاد الشام والجزيرة العربية، وشمال إفريقيا، وهي من أقدم لغات العالم، وهناك كتابات مدونة باللغات السامية منذ نحو خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، ولقد توزعت إلى أربع مجموعات حسب موقعها الجغرافي، وهي: شمالية شرقية، وشمالية غربية، وجنوبية وسطى، وجنوبية:

المجموعة الشمالية الشرقية، وتضم لغة واحدة هي اللغة الأكادية، وهي أقدم لغة سامية ثبت وجودها من خلال النصوص المسمارية، وموطنها بلاد الرافدين في بابل وآشور.

المجموعة الشمالية الغربية، وتضم اللغات العمورية والأوغاريتية والكنعانية والآرامية، وتعد اللغة الفينيقية من أهم اللغات الكنعانية القديمة، وقد وجدت في لبنان وسورية وفلسطين وقبرص.

أما اللغة العبرية فهي لغة «العهد القديم»، وقد تلاشت هذه اللغة بوصفها لغة محكية بين القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد، وحلت محلها اللغة الآرامية، وأعيد إحياؤها بشكلها الجديد بعد الاحتلال الصهيوني لفلسطين.

واللغة الآرامية انتشرت انتشاراً واسعاً من أفغانستان إلى مصر، وحلت مكان معظم اللغات السامية القديمة بما في ذلك الأكادية والعبرية.

أما السريانية، فهي إحدى لهجات اللغة الآرامية الشرقية.

المجموعة الجنوبية الوسطى، وتضم اللغتين العربية والمالطية.

وتعد العربية أهم لغة سامية على الإطلاق، وموطنها الأصلي شمال الجزيرة العربية، وتعد ثاني أكبر أبجدية استعمالاً في العالم بعد الأبجدية اللاتينية، وتستعمل في كتابة عدد من اللغات الأخرى مثل الفارسية والأوردية.

وشتان بين اللغة العبرية واللغة العربية، ومع ذلك فإن الكيان الإسرائيلي عمل على سيرورة اللغة العبرية، وانتشارها، واعتمادها في شؤون الحياة كافة، والتعليم بجميع مراحله، ويثني الأمريكيون على عملهم هذا أمام مسؤولين عرب، في الوقت الذي يعملون فيه على إبعاد العربية، وإحلال لغتهم الإنجليزية مكانها.

المجموعة الجنوبية، وتضم اللغات العروبية الجنوبية واللغات الأثيوبية.

استمدت أبجديتها من اللغة الكنعانية التي جاءت إلى منطقة جنوب الجزيرة العربية، وتفرعت عنها عدة لهجات أهمها السبئية والمعينية والحضرمية. أما اللغات العروبية الجنوبية الحديثة، فهي لغات غير مكتوبة، وقد حلت العربية مكانها.

واللغات الأثيوبية هي أقرب إلى اللغات العروبية القديمة التي انتشرت في جنوب الجزيرة العربية نحو 1500 ق م.

ويقول ابن حزم في تراثنا العربي: «إن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر، لا لغة حمير، لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها، وهذه اللغات الثلاث هي المسماة بالسامية نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام، وسبب هذه النسبة كونُ أكثرِ المتكلمين بها من نسله، وقد نشأت هذه اللغات من أصل واحد، وهي اللغَة الآرامية نسبة إلى آرام أحد أبناء سام».

وقد عني مستشرقون عدة باللغات السامية من أمثال: انطوان مايية، ونولدكة، وبروكلمان، وبارت، ووليم رايت ...الخ، وعني بدراستها أيضاً نفر من أبناء العروبة من الباحثين العرب. منهم الدكاترة: إبراهيم

السامرائي، وحسن ظاظا، ومحمود فهمي حجازي، ورمضان عبد التواب، ومراد كامل، وربحي كمال، ومحمد محفل.

وتجدر الإشارة إلى أن ثمة صعوبة في البحث في اللغات القديمة، وتتجلى هذه الصعوبة في الغوص على دررها، ويخيل إلى الباحث فيها أنه في بحر لا تقتحم أمواجه، ولا تركب أثباجه، ولكن الإصرار على البحث والتنقيب يبعث إلى تسنم هذا الغارب، وكان الأستاذ الدكتور عيد مرعي الباحث الذي تسنمه على الرغم من عمق الأغوار، وخطر الإبحار.

ومن نعم الله على مجمعنا أن كان كلٌّ من الأستاذ الدكتور عيد مرعي، والأستاذ الدكتور رفعت هزيم متخصصاً بهذه اللغات القديمة، وسيتحدث الدكتور مرعي عن سلفه الأستاذ الدكتور محمد محفل رحمه الله الذي سيحل محله في المجمع، بعد أن يقوم الزميل الكريم الأستاذ الدكتور رفعت بتقديم مسيرة الدكتور مرعي العلمية بالتفصيل، فليتفضل الدكتور رفعت مشكوراً بتقديم ذلك.